http://www.shamela.ws

تم إعداد هذا الملف آليا بواسطة المكتبة الشاملة

الكتاب: التعليقات على الأصول الستة-النجمي
كتب الشيخ النجمي تم شرائها من الناشر
كتب الشيخ أحمد النجمي -إدخال أحمد التويجري

المتنُ:
مِن أَعجَبِ العُجَابِ, وَأَكبَرِ الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدرَةِ المَلِكِ الغَلَّابِ سِتَّةُ أُصُولٍ، بَيَّنَهَا اللهُ تَعَالَى بَيَانًا وَاضِحًا لِلعَوَامِّ فَوقَ مَا يَظُنُّ الظَّانُّونَ, ثُمَّ بَعدَ هَذَا غَلِطَ فِيهَا كَثِيرٌ مِن أَذكِيَاءِ العَالَمِ وَعُقَلَاءِ بَنِي آدَمَ إِلَّا أَقَلَّ القَلِيلِ.
الأَصلُ الأَوَّلُ: إِخلَاصُ الدِّينِ للهِ تَعَالَى وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ, وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّركُ بِاللهِ, وَكَونُ أَكثَرِ القُرآنِ فِي بَيَانِ هَذَا الأَصلِ مِن وُجُوهٍ شَتَّى بِكَلَامٍ يَفهَمُهُ أَبلَدُ العَامَّةِ, ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَى أَكثَرِ الأُمَّةِ مَا صَارَ أَظهَرَ لَهُمُ الشَّيطَانُ الإِخلَاصَ فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِينَ, وَالتَّقصِيرِ فِي حُقُوقِهِم, وَأَظهَرَ لَهُمُ الشِّركَ بِاللهِ فِي صُورَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَاتِّبَاعِهِم.
الأَصلُ الثَّانِي: أَمَرَ اللهُ بِالاجتِمَاعِ فِي الدِّينِ، وَنَهَى عَنِ التَّفَرُّقِ فِيهِ، فَبَيَّنَ اللهُ هَذَا بَيَانًا شَافِيًا تَفهَمُهُ العَوَامُّ, وَنَهَانَا أَن نَكُونَ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاختَلَفُوا قَبلَنَا فَهَلَكُوا، وَذَكَرَ أَنَّهُ أَمَرَ المُسلِمِينَ بِالاجتِمَاعِ فِي الدِّينِ، وَنَهَاهُم عَنِ التَّفَرُّقِ فِيهِ.
وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا مَا وَرَدَت بِهِ السُّنَّةُ مِن العَجَبِ العُجَابِ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ صَارَ الأَمرُ إِلَى أَنَّ الافتِرَاقَ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ هُوَ العِلمُ وَالفِقهُ فِي الدِّينِ، وَصَارَ الاجتِمَاعُ فِي الدِّينِ لَا يَقُولُهُ إِلَّا زِندِيقٌ أَو مَجنُونٌ.

(1/113)

الأَصلُ الثَّالِثُ: إِنَّ مِن تَمَامِ الاجتِمَاعِ: السَّمعَ وَالطَّاعَةَ لِمَن تَأَمَّرَ عَلَينَا وَلَو كَانَ عَبدًا حَبَشِيًّا، فَبَيَّنَ اللهُ هَذَا بَيَانًا شَافِيًا كَافِيًا بِوُجُوهٍ مِن أَنوَاعِ البَيَانِ شَرعًا وَقَدَرًا، ثُمَّ صَارَ هَذَا الأَصلُ لَا يُعرَفُ عِندَ أَكثَرِ مَن يَدَّعِي العِلمَ فَكَيفَ العَمَلُ بِهِ؟
الأَصلُ الرَّابِعُ: بَيَانُ العِلمِ وَالعُلَمَاءِ, وَالفِقهِ وَالفُقَهَاءِ، وَبَيَانُ مَن تَشَبَّهَ بِهِم وَلَيسَ مِنهُم، وَقَد بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى هَذَا الأَصلَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ البَقَرَةِ مِن قَولِهِ: {يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ} [البقرة:40]. إِلَى قَولِهِ: {يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} [البقرة:47].
وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا: مَا صَرَّحَت بِهِ السُّنَّةُ فِي هَذَا الكَلَامِ الكَثِيرِ البَيِّنِ الوَاضِحِ لِلعَامِّيِّ البَلِيدِ، ثُمَّ صَارَ هَذَا أَغرَبَ الأَشيَاءِ, وَصَارَ العِلمُ وَالفِقهُ هُوَ البِدَعَ وَالضَّلَالَاتِ, وَخِيَارُ مَا عِندَهُم لَبسُ الحَقِّ بِالبَاطِلِ, وَصَارَ العِلمُ الَّذِي فَرَضَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى الخَلقِ وَمَدَحَهُ لَا يَتَفَوَّهُ بِهِ إِلَّا زِندِيقٌ أَو مَجنُونٌ, وَصَارَ مَن أَنكَرَهُ وَعَادَاهُ وَصَنَّفَ فِي التَّحذِيرِ مِنهُ وَالنَّهيِ عَنهُ هُوَ الفَقِيهَ العَالِمَ.
الأَصلُ الخَامِسُ: بَيَانُ اللهِ سُبحَانَهُ لِأَولِيَاءِ اللهِ، وَتَفرِيقُهُ بَينَهُم وَبَينَ المُتَشَبِّهِينَ بِهِم مِن أَعدَاءِ اللهِ المُنَافِقِينَ وَالفُجَّارِ, وَيَكفِي فِي هَذَا آيَةٌ مِن سُورَةِ آلِ عِمرَانَ وَهِيَ قَولُهُ: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} [آل عمران:31] الآيَةَ.

(1/114)

وَآيَةٌ فِي سُورَةِ المَائِدَةِ, وَهِيَ قَولُهُ: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [المائدة:54] الآيَةَ.
وَآيَةٌ فِي يُونُسَ, وَهِيَ قَولُهُ: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [يونس:62 - 63].
ثُمَّ صَارَ الأَمرُ عِندَ أَكثَرِ مَن يَدَّعِي العِلمَ, وَأَنَّهُ مِن هُدَاةِ الخَلقِ وَحُفَّاظِ الشَّرعِ إِلَى أَنَّ الأَولِيَاءَ لَابُدَّ فِيهِم مِن تَركِ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ, وَمَن تَبِعَهُم فَلَيسَ مِنهُم.
وَلَابُدَّ مِن تَركِ الجِهَادِ, فَمَن جَاهَدَ فَلَيسَ مِنهُم, وَلَابُدَّ مِن تَركِ الإِيمَانِ وَالتَّقوَى, فَمَن تَعَهَّدَ بِالإِيمَانِ وَالتَّقوَى فَلَيسَ مِنهُم, يَا رَبَّنَا نَسأَلُكَ العَفوَ وَالعَافِيَةَ؛ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.
الأَصلُ السَّادِسُ: رَدُّ الشُّبهَةِ الَّتِي وَضَعَهَا الشَّيطَانُ فِي تَركِ القُرآنِ وَالسُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ الآرَاءِ وَالأَهوَاءِ المُتَفَرِّقَةِ المُختَلِفَةِ, وَهِيَ أَنَّ القُرآنَ وَالسُّنَّةَ لَا يَعرِفُهُمَا إِلَّا المُجتَهِدُ المُطلَقُ, وَالمُجتَهِدُ هُوَ المَوصُوفُ بِكَذَا وَكَذَا أَوصَافًا لَعَلَّهَا لَا تُوجَدُ تَامَّةً فِي أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ، فَإِن لَم يَكُن الإِنسَانُ كَذَلِكَ فَلْيَعرِضْ عَنهُمَا فَرضًا حَتمًا لَا شَكَّ وَلَا إِشكَالَ فِيهِ, وَمَن طَلَبَ الهُدَى مِنهُمَا فَهُوَ: إِمَّا زِندِيقٌ, وَإِمَّا مَجنُونٌ؛ لِأَجلِ صُعُوبَةِ فَهمِهِمَا.
فَسُبحَانَ اللهِ وَبِحَمدِهِ! كَم بَيَّنَ اللهُ سُبحَانَهُ شَرعًا وَقَدَرًا، خَلقًا وَأَمرًا فِي رَدِّ هَذِهِ الشُّبهَةِ المَلعُونَةِ مِن وُجُوهٍ شَتَّى بَلَغَت إِلَى حَدِّ الضَّرُورِيَّاتِ العَامَّةِ, وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لَا يَعلَمُونَ: {لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (7) إِنَّا

(1/115)

جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (8) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (9) وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (10) إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ} [يس:7 - 11].
آخِرُهُ، وَالحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.
وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ, وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّمَ تَسلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَومِ الدِّينِ.

•))) •

(1/116)

قَالَ المصنِّفُ:
مِن أَعجَبِ العُجَابِ, وَأَكبَرِ الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدرَةِ المَلِكِ الغَلَّابِ سِتَّةُ أُصُولٍ (1)، بَيَّنَهَا اللهُ تَعَالَى بَيَانًا وَاضِحًا لِلعَوَامِّ (2) فَوقَ مَا يَظُنُّ الظَّانُّونَ, ثُمَّ بَعدَ هَذَا غَلِطَ فِيهَا كَثِيرٌ مِن أَذكِيَاءِ العَالَمِ وَعُقَلَاءِ بَنِي آدَمَ إِلَّا أَقَلَّ القَلِيلِ (3).
الأَصلُ الأَوَّلُ: إِخلَاصُ الدِّينِ للهِ تَعَالَى وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ, وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّركُ بِاللهِ, وَكَونُ أَكثَرِ القُرآنِ فِي بَيَانِ هَذَا الأَصلِ مِن وُجُوهٍ شَتَّى بِكَلَامٍ يَفهَمُهُ أَبلَدُ العَامَّةِ, ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَى أَكثَرِ الأُمَّةِ مَا صَارَ أَظهَرَ لَهُمُ الشَّيطَانُ

(1) ذكر الشيخ عبيد الله بن عبد الله بن سليمان الجابري -حفظه الله- في (ص6) من كتابه «تنبيه ذوي العقول السليمة إلى فوائد مستنبطة من الستة الأصول العظيمة -تعريف الأصول»: قوله: «الأصول: جمع أصل؛ وهو في اللغة ما يُبنى عليه غيره، ومنه الأسلس -أصل البناء-، والجذع أصل الشجرة قال الله تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ} [إبراهيم:24].
والمراد هنا: قواعد مستنبطة من الكتاب والسنة للدلالة على كمال حكمة الله وقدرته، وكمال هديه وتشريعه، وهذه الست القواعد استنبطها الشيخ من الكتاب والسنة». اهـ
(2) قال شيخنا النجمي -حفظه الله-: العامي هو من لا يقرأ ولا يكتب.
(3) إن دل هذا فإنما يدل على بُعدهم عن الله، وهجرهم للعمل بكتابه تعالى، وسنة رسولنا محمد -صلى الله عليه وسلم- إلا من هداه الله، فمن رزقه الله ذكاء وعقلًا واعيًا ولم يرزقه الله زكاءً في أعماله فهذا ما عرف حق الله عليه وكأن هذا المُعْرِض عن العمل الصالح ما سمع قول ربه تعالى وهو يقول: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس:9 - 10]؛ إذ العبرة بالعمل، لا بكثرة العلم والذكاء، والله أعلم.

(1/119)

الإِخلَاصَ فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِينَ, وَالتَّقصِيرِ فِي حُقُوقِهِم, وَأَظهَرَ لَهُمُ الشِّركَ بِاللهِ فِي صُورَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَأَتبَاعِهِم [1].

[1] قوله: «إِخْلَاصُ الدِّينِ للهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ, وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّرْكُ بِاللهِ, وَكَوْنُ أَكْثَرِ القُرْآنِ لِبَيَانِ هَذَا الأَصْلِ مِن وُجُوهٍ شَتَّى بِكَلَامٍ يَفْهَمُهُ أَبْلَدُ العَامَّةِ».
أقول: الإخلاص لله هو القاعدة العظيمة من قواعد الدين التي ينبني عليها، ويتلوه المتابعة؛ فالدِّينُ يقوم على هذين الأصلين:
1 - إخلاصُ الدين لله تعالى وحده لا شريك له.
2 - متابعةُ رسوله - صلى الله عليه وسلم - فلا يُقبل عملٌ إلا بتوفُّر هذين الشرطين فيه، فمَنْ عمل عملًا لم يُؤسَّسْ على هذين الأصلين، فإن عمله يكون مردودًا عليه، حتى ولو أخلَّ بواحد منهما؛ فمن أخلص لله ولكنه لم يتابع رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم -، فإن عمله باطل لعدم المتابعة ومن تابع الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقط ولم يخلص لله، فإن عمله باطل أيضًا لعدم الإخلاص.
فمن الأدلة على الإخلاص قوله تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام:162 - 163].
وقوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف:110].
وقوله تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة:5].
وقوله تعالى: {فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [غافر:14].

(1/120)

.....

والأدلة على هذا كثيرةٌ، وأكثر السور المكية آياتها في حوار مع المشركين، وبيان بطلان دينهم، والاستدلال على إبطاله، وبيان أن معبوديهم -وهي الآلهة التي يعبدونها- لا تملك شيئًا؛ لقوله تعالى: {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ} [فاطر:13].
وقوله في آية أخرى: {أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا} [النساء:53]، وبيان عجز هذه الآلهة وضعفها؛ كما قال تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ} [الحج:73].
وفي أثناء ذلك يبين الله T قدرته في مخلوقاته التي خلقها، وآياته التي أودعها في هذا الكون ليدُلَّك على كماله وقدرته، وأنه هو الإلهُ الحقُّ المستحقُّ للألوهية دون سواه، وأنه هو الذي ينبغي أن يعبد وأن تُخْلَصَ له العبادةُ لما له على الناس من فضل بخلقهم وإيجادهم، وما يُسْدي لهم من النعم وما يتفضل به عليهم من الرزق، فهو المستحق للعبودية دون سواه؛ والكلام في هذا يطول لو أردنا أن نسلك شيئًا من التقصي، وما ذُكر فيه الكفاية.
وأما المتابعة؛ فأدلتها كثيرة أيضًا من كتاب الله وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ فمنها ما جاء في قول الله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الحشر:7].
وقال -جل من قائل-: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ

(1/121)

يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا} [الأحزاب:36].

(1/122)

.....

وقال سبحانه: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [الأنفال:24].
وقال الله T: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [آل عمران:31].
وفي الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى» (1).
أما قوله: «ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَى أَكْثَرِ الأُمَّةِ مَا صَارَ أَظْهَرَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ الإِخْلَاصَ فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِينَ، وَالتَّقْصِيرِ فِي حُقُوقِهِمْ, وَأَظْهَرَ لَهُمُ الشِّرْكَ بِاللهِ فِي صُورَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَاتِّبَاعِهِمْ».
المقصود بهذا الكلام: أنه لما أُدخل في الدين ما أُدخل من البدع، كبدع الصوفية، وبدع التشيع وما إلى ذلك من البدع؛ أظهر الشيطان لكثير من الناس أن إخلاص العبادة لله، وعدم دعاء أولئك الصالحين في زعمهم يكون فيه تنقص للصالحين، وتقصير في حقوقهم، وأن من دعا أولئك الصالحين، واستغاث بهم، وجعلهم وسائط بينه وبين الله، فقد عرف حقهم؛ علمًا بأن الله يمنع ويأبى أن يُشرك معه غيره في شيء من العبادة؛ حتى ولو كان ملكًا مقرَّبًا أو نبيًّا مرسلًا.

(1) تقدم تخريجه.

(1/123)

وقد فصل الله T في بعض آياته بين الحق المشترك بينه وبين رسوله، والحق

(1/124)

.....

الخالص له، فقال -جل من قائل-: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} [النور:52].
فجعل الطاعة مشتركة بينه وبين الرسول، وجعل الخشية والاتقاء له وحده، وقد قال الله T عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذي هو أكرم الخلق عليه، وأعلاهم عنده منزلة، وأفضلهم عنده مقامًا: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ} [آل عمران:128].
وبهذا يتبين أن قولهم هذا قول باطل، وخطأٌ فاحشٌ لا يجوز لأحد أن يعتقده، وأن الموحدين لم يهضموا الصالحين حقهم؛ بل يحبونهم لله إن كانوا صالحين على الحقيقة.
ولكنهم لا يُعطونهم شيئًا من حق الله T لعلمهم أن ذلك موجب لسخطه تعالى، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لمن قال له: «أنت سيدنا وابن سيدنا»: «يا أيها الناس، قولوا بقولكم ولا يَسْتَهْوِيَنَّكم الشيطانُ، أنا محمد بن عبد الله ورسول الله، والله ما أُحبُّ أن ترفعوني فوق ما رفعني الله 1) «T) .
وقال لمن قال له: «يا رسول الله، جهدَتِ الأنفسُ وضاعتِ العيالُ، ونهكَتِ الأموالُ وهَلَكَتِ الأنعامُ، فاستسقِ اللهَ لنا، فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك.
قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: وَيْحَكَ! أتدري ما تقول؟ وسبح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فما زال يسبِّحُ حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: وَيْحَكَ! إنه لا يُستشفع

(1) أخرجه أحمد (13117) من حديث أنس - رضي الله عنه -، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (1097).

(1/125)

بالله على أحد من خلقه؛ شأن الله أعظم من ذلك.

(1/126)

.....

ويحك! أتدري ما الله؟! إن عرشه على سمواته هكذا -وقال بأصابعه- مثل القُبة عليه، وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب» (1).
وقد تبين من هذا أن من يزعم أن تحقيق التوحيد، وإخلاصه لله تعالى تنقص بالصالحين، فإن قوله هذا باطل، وإنه ضالٌّ من الضُّلالِ الذي يجب على المسلمين أن يحذروهم على دينهم. وبالله التوفيق.

•))) •

(1) أخرجه أبو داود (4726) من حديث جبير بن مطعم - رضي الله عنه -، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (2639).

(1/127)

الأصلُ الثَّاني: أَمَرَ اللهُ بالاجتماع فِي الدِّينِ، ونَهى عنِ التفرُّقِ فِيه، فبيَّن الله هَذا بَيانًا شَافيًا تفهمُهُ العوامُ، ونَهانا أن نكُونَ كالذِينَ تفرَّقوا واختَلفُوا قَبلنا فَهَلَكُوا، وذَكرَ أنهُ أمَرَ المُسلمينَ بالاجتمَاعِ في الدِّين، ونَهاهُم عَن التفرُّقِ فِيهِ.
ويزيدُهُ وضُوحًا مَا وَرَدَت بِهِ السُّنَّةُ مِن العَجبِ العُجابِ فِي ذَلك، ثُم صارَ الأمرُ إلى أنَّ الافتِرَاقَ في أصُولِ الدِّين وفُروعِهِ هُو العِلمُ والفِقهُ فِي الدِّينِ، وصَارَ الاجتماعُ فِي الدِّين لا يقُولُه إلا زِنديقٌ أو مَجنُونٌ [1].

---

[1] لقد قرن الله T الأمر بالاجتماع في الدين، وعدم التفرق فيه بالعبادة، وهو من العبادة، فقال -جل من قائل-: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء:92]، وفي الآية الأخرى: {وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} [المؤمنون:52].
ومفاد هاتين الآيتين ما يلي:
1 - هو أن المعبود هو الله، فلا تجوزُ العبادة لغيره.
2 - وكذلك لابد أن تكون الأمة واحدة مجتمعة على هذا الهدف، وهو وحدانية المعبود، وأنه هو الله وحده لا شريك له.
ووحدة الأمة بأن تكون الأمة واحدة، آخذة من ربها عن نبيها - صلى الله عليه وسلم - الأوامر والنواهي؛ تتلقى عنه أوامره ونواهيه بواسطة رسوله - صلى الله عليه وسلم - مما جاء في الكتاب والسنة فتعمل بها؛ ولهذا أخبر - سبحانه وتعالى - أن هذا الذي بيَّنه لأمة محمد - صلى الله عليه وسلم - هو شرع كل الأنبياء والأمم، وعلى رأسهم أولو العزم، كما قال -جل من قائل-: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ

(1/128)

وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} [الشورى:13].

(1/129)

.....

فأخبر أنه وصى بذلك نوحًا أوَّلَ الرسل ووصى به محمدًا - صلى الله عليه وسلم -؛ وهو آخر الرسل في قوله: {وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ}، ووصى به إبراهيم وموسى وعيسى؛ وهؤلاء الثلاثة هم الباقون من أولي العزم: إبراهيم الخليل، وموسى الكليم، وعيسى بن مريم روح الله وكلمته التي ألقاها إلى مريم.
فقوله: {أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ}؛ أي: لله T؛ { وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ}: هذا أمر بأن يكون الدين لله تجتمع على ذلك الأمة؛ فإن حصل في ذلك اختلاف، فلتكن العودة إلى الله ورسوله فيما حصل فيه الاختلاف، وعندئذ يُحَلّ الاختلاف بما أمر الله به في قوله: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [الشورى:10].
وفي قوله: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} [النساء:83].
ولقد حض الرسولُ - صلى الله عليه وسلم - على الاجتماع، وعدم التفرق؛ بل إنه قضى على كل أسباب التفرق والاختلاف.
ومن تأمل الأحكام الشرعية يجد أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - في تشريعاته التي تلقاها من ربه لم يَدَعْ سببًا من الأسباب التي تؤدي إلى الاختلاف إلا وحسمه، امتثالًا لأمر الله حيث يقول: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران:103].
وقال سبحانه: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام:153].

(1/130)

إلى غير ذلك من الآيات.

(1/131)

.....

قوله: «ويزيده وضوحًا ما وردت به السنة من العجب العجاب في ذلك».
أقول: الأدلة في السنة، منها قوله - صلى الله عليه وسلم -: «نضر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها، وحفظها وبلَّغها؛ فربَّ حاملِ فقه إلى من هو أفقه منه.
ثلاث لا يغِلُّ عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن الدعوة تحيط من ورائهم» (1).
ومنها قوله - صلى الله عليه وسلم -: «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه» (2).
ومنها حديث: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة.
قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: هم الذين على مثل ما أنا عليه وأصحابي» (3) إلى غير ذلك من الأدلة.
قوله: «ثم صار الأمر إلى الافتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم والفقه في الدين، وصار الاجتماع في الدين لا يقوله إلا زنديق أو مجنون».

(1) أخرجه الترمذي (2658) من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه -، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (404).
(2) أخرجه مسلم (1852) من حديث عرفجة بن شريح - رضي الله عنه -.
(3) أخرجه الترمذي (2641) من حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما -، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (5343).

(1/132)

لعل مقصود المؤلف ما حصل بين المسلمين من الافتراق في أصول الدين

(1/133)

.....

وفروعه، فالافتراق في أصول الدين حصل كثيرًا: فمن (جهمية) إلى (اعتزال) إلى (قدرية) إلى (مرجئة)، إلى غير ذلك.
وكذلك الافتراق في الفروع: فمن حنفية إلى مالكية إلى شافعية إلى حنابلة وظاهرية؛ وهذا الافتراق في الفقه الإسلامي لا يُعدُّ افتراقًا، بل هو مجال لتنوع الأفهام، واختلافها في المسائل التي يسوغ فيها الاجتهاد وليس هذا بعيب، ولا نقص؛ ولكن العيب والنقص هو ترك الدليل لقول الإمام؛ هذا هو الذي يُذَمُّ صاحبه ويُلامُ.
ولعلَّ المؤلف - رحمه الله - قصد إلى هذا الاختلاف، وأن كثيرًا من أهل زمنه قد ذهبوا إلى أن من ترك هذه المذاهب وأخذ بالدليل اتهموه بما وصف المؤلف من الجنون والزندقة.
والزندقة (1) هي عدم الاكتراث بالدين، وعدم المبالاة به، والعياذ بالله. وبالله التوفيق.

•))) •

(1) قال في «القاموس» (ص891 - طبعة مؤسسة الرسالة): «الزنديق -بالكسر- من الثنوية أو القائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان». اهـ

(1/134)

الأصلُ الثالثُ: إنَّ مِن تَمامِ الاجتِماعِ: السَّمعَ وَالطاعَةَ لِمَن تَأَمَّرَ عَلَيْنَا وَلَو كَانَ عَبدًا حَبَشِيًّا، فَبيَّنَ اللهُ هَذَا بَيَانًا شَافِيًا كَافِيًا بِوجُوهٍ مِن أَنوَاعِ البَيَانِ شَرعًا (1) وَقَدَرًا، ثُمَّ صَارَ هَذَا الأَصلُ لَا يُعرَفُ عِندَ أَكثَرِ مَن يَدَّعِي العِلمَ فَكَيفَ

---

(1) إن الله قد بيَّن لنا في كتابه، ووضَّح ـ صلى الله عليه وسلم ـ لنا في سنته وجوب طاعة السلطان فيما ليس فيه معصية لله ولا لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ؛ فإن أمر السلطان بمعصية فلا سمع إذن ولا طاعة، وهو ما بينه شيخنا من الأدلة على هذه المسألة عند قول المؤلف: «فبيَّن الله هذا بيانًا شافيًا كافيًا بوجوه من أنواع البيان شرعًا».
وأما قوله: «قدرًا»: فهو ما كتبه الله في اللوح المحفوظ على الأمة الإسلامية أفرادًا وشعوبًا حينما عادت وتعود إلى كتاب ربها، وسنة نبيها محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وتعمل بهذين المصدرين المنزلين من عند الله ـتبارك وتعالى ـ، ومن تلك الأمور التي أمر الله بها، وأمر بها رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: طاعة ولي الأمر بالمعروف، والاجتماع عليه، وعدم الخروج عليه بالقول والفعل؛ فإن الله قد وعد من فعل ذلك بالخيرية، والعزة، والتمكين في الأرض، والنصرة على الأعداء؛ كما قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا} [النور:55].
وقال تعالى: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} [الحج:40 - 41].
وحينما تترك الأمة الإسلامية العمل بالكتاب والسنة وتتعبد بشيء لم يأمر الله به، فإنه قد كتب وقدَّر في اللوح المحفوظ بأن من كان هذا حاله ومن ذلك عدم طاعة السلطان والخروج عليه بأنواع الخروج، فإن الله إذا رأى من عباده هذا يبتليهم بالتفرُّق والتمزق، ويجعل بأسهم بينهم، ويسود الفساد والبلاء بين أفرادها، كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [الأنعام:159].
فلنعتصم جميعًا بما جاء في الكتاب والسنة، ولنجعل نصب أعيننا أن كل أمر من الله أو من رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأنه أمر واجب الامتثال إلا ما دلت النصوص على أن هذا الأمر على سبيل الاستحباب، وأن نعتقد فيه اعتقادًا جازمًا لا مرية فيه بأن فيه الخير، وبخلافه يحصل الشر، وأن كل نهي نهانا الله عنه في كتابه أو نهانا عنه رسولنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في سنته، فإنه نهي يحرم علينا الوقوع فيه إلا ما دلت الأدلة على أن النهي فيه على سبيل الكراهة والتنزيه؛ لأنا إذا وقعنا في النهي فسيحصل علينا الشر إن عاجلًا وإن آجلًا.
فإن عدنا أيها المسلمون إلى الله عودة صادقة ظفرنا بسعادة الدارين: دار الدنيا، ودار الآخرة، وإن تخلفنا، فإن الأمر على العكس من ذلك، والله المستعان.

(1/135)

العَمَلُ بِهِ؟ [1].

---

[1] سبق لنا أن بيَّنا ما بيَّنه الله لعباده في قوله تعالى: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء:92].
وفي الآية الأخرى: {وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} [المؤمنون:52].
وفي قوله: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} [الشورى:13].
وعرفنا من تلك الأدلة بأن الله أمرنا أن نعبدَ إلهًا واحدًا هو الله وحده لا شريك له، وأمرنا أن تكون أمتنا أمة واحدة.
فتبين أن الدين يقوم على أصلين:
1 ـ أن الإله واحد، وهو المتعبد له بأنواع العبادات، وهو الله دون سواه.
2 ـ أن الأمة يجب أن تكون واحدة، وألا تتفرق في الدين، ويقول المؤلف هنا: «أن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا ـ ولو كان

(1/136)

عبدًا حبشيًّا ـ»: سواء كان برًّا أو فاجرًا، وسواءً كان مُطيعًا أو عاصيًا؛ وطاعة من ولاه الله أمرنا واجبة علينا، وهو من تمام اجتماع الكلمة؛ وقد وردت في ذلك الآية، وهي قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} [النساء:59].

(1/137)

.....

وأما الأحاديث في هذا الباب فهي كثيرة منها:
أمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالسمع والطاعة لولي الأمر، وعدم الخروج عليه؛ فعن عبادة ابن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال: «بايعنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان» (1).
ومنها: حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات إلا مات ميتة جاهلية» (2).
ومنها: حديث عوف بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: «خيار أئمتكم الذين تُحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم؛ وشرار أئمتكم الذين تُبغضونهم ويُبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم.
قيل: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من وُلاتكم شيئًا تكرهونه، فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يدًا من طاعة» (3).
ومنها: حديث عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: يقول: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: «مَنْ خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له؛ ومن مات

---

(1) أخرجه البخاري (7056)، ومسلم (1709).
(2) أخرجه البخاري (7054)، ومسلم (1849).
(3) أخرجه مسلم (1855).

(1/138)

وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» (1).

---

(1) أخرجه مسلم (1851).

(1/139)

.....

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «اسمعوا وأطيعوا وإن استُعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة» (1).
والأحاديث في هذا الباب كثيرة، يأمر الله T على لسان رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بطاعة السلطان وعدم الخروج عليه.
بيَّن الله هذا بيانًا شافيًا في مواضع كثيرة، فلا داعي للإطالة فيها: فمن كان مؤمنًا بالله، ومؤمنًا برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فليتقِ الله، ولا ينزعنَّ يدًا من طاعة؛ فإن الخروج يعم الخروج بالقول، والخروج بالفعل، والمنازعة تعم المنازعة في القول؛ والمنازعة في الفعل. وبالله التوفيق.

•))) •

---

(1) أخرجه البخاري (693).

(1/140)

الأصلُ الرَّابِعُ: بَيَانُ العِلمِ (1) وَالعُلَمَاءِ، وَالفِقهِ والفُقَهَاءِ، وَبَيَانُ مَن تَشَبَّهَ

---

(1) المراد بالعلم: هو العلم الشرعي؛ وهو ما قاله الله في كتابه، وما قاله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في سنته، وما استنبطه أهل العلم منهما من الأحكام الشرعية، والتي ينبني عليهما حفظ

الدين والمال والعرض والعقل والنسل؛ والعلماء هم العارفون بذلك العاملون بما فيهما، والداعون إليهما الصابرون على الأذى فيهما.
ويسمون أيضًا بالفقهاء، وإليك أخي القارئ الكريم بعضَ النصوص الشرعية من الكتاب والسنة الدالة على فضل العلم والعلماء، والفقه والفقهاء لتكون لك فيها أعظم واعظٍ وأجل حافزٍ؛ لتسلك طريقهم وتحتذي بهم، وعلى رأس أولئك العلماء علماء الصحابة والتابعين، ومن جاء بعدهم في كل زمان ومكان.
وهاهي النصوص غضة طرية -زادك الله توفيقًا وهدًى-: قال الله تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران:18].
وقال سبحانه: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الزمر:9].
وقال -جل من قائل-: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [المجادلة:11].
وقد جاء في الحديث عن قيس بن كثير؛ قال: «قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء وهو بدمشق فقال: ما أقدمك يا أخي؟ فقال: حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: أما جئت لحاجة؟ قال: لا، قال: أما قدمت لتجارة؟ قال: لا. قال: ما جئت إلا في طلب هذا الحديث؟ قال: نعم.
قال: فإني سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: «من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاءً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء؛ وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب؛ إن العلماء ورثة الأنبياء؛ إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر».
أخرجه الترمذي وهو حديث صحيح كما ذكر ذلك الألباني في «صحيح الترمذي» (رقم 2682)؛ وأشار إليه أيضًا في «صحيح ابن ماجه» (رقم 223)؛ وانظره في «صحيح الترغيب» (1/ 138 - رقم 70).
وقال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالمًا اتخذ الناس رءوسًا جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» (رواه البخاري ومسلم)، وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين». (رواه البخاري ومسلم)؛ إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على فضل العلم وأهله وما أحسن قول الشيخ حافظ الحكمي حين قال:

يا طالب العلم لا تبغي به بدلا ... فقد ظفرت ورب اللوح والقلم ... 0
وقس العلم واعرف قدر حرمته ... في القول والفعل والآداب فالتزم

فاجتهد -يا طالب العلم- في تحصيل العلم الشرعي، وخذه من أفواه الشيوخ السائرين على نهج السلف، ولا تنسَ أن تخلِص في ذلك لله ربك عالم الغيب والشهادة -زادك الله علمًا وتقًى لله رب البريات-.

(1/141)

بهِم وَلَيسَ مِنهُم، وَقَد بَيَّنَ الله تَعَالَى هَذَا الأَصلَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ البَقَرَةِ مِن قَولِهِ: {يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ} [البقرة:40]. إلى قوله: {يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} [البقرة:47].
وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا: مَا صَرَّحَت بِهِ السُّنَّةُ فِي هَذَا الكَلَامِ الكَثِيرِ البَيِّنِ الوَاضِحِ لِلعَامِّيِّ البَلِيدِ، ثُمَّ صَارَ هَذَا أَغرَبَ الأَشيَاءِ، وَصَارَ العِلمُ وَالفِقهُ هُوَ البِدَعَ وَالضَّلَالَاتِ، وَخِيَارُ مَا عِندَهُم لَبسُ الحَقِّ بِالبَاطِلِ، وَصَارَ العِلمُ الَّذِي فَرَضَهُ الله تَعَالَى عَلَى الخَلقِ وَمَدَحَهُ لَا يَتَفَوَّهُ بِهِ إِلَّا زِندِيقٌ أَو مَجنُونٌ، وَصَارَ مَن أَنكَرَهُ وَعَادَاهُ وَصَنَّفَ فِي التَّحذِيرِ مِنهُ وَالنَّهيِ عَنهُ هُوَ الفَقِيهُ العَالِمَ [1].

(1/142)

[1] إن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ؛ قد عاش في القرن الثاني عشر، وعاش في زمن انتشر فيه الشرك الأكبر؛ وهي عبادة القبور وغيرها مما

(1/143)

....

يَتخذُ آلهةً، فأنكر عليهم ودعاهم إلى التوحيد، وإلى العقيدة السلفية الصحيحة، عقيدة أهل السنة والجماعة التي مضى عليها إمام أهل السنة أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ (1)،

(1) وإليك أخي القارئ الكريم ملخَّصًا عن عقيدة المسلم (المنهج السلفي) التي يجب أن يدين العبد بها أمام ربه ليجد جزاء ذلك يوم يلقاه والتي ذكرها شيخنا أحمد بن يحيى النجمي في كتابه «الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية»، وهو إجابة عن سؤال ورد عليه يسأل فيه السائل الشيخ عن ذلك وعن التعريف بغيرها، فارجع إليه زادك الله توفيقًا وعلمًا.
(المنهج السلفي):
1 - أن ندين لله T بالتوحيد، فلا ندعو أحدًا سواه، ولا نلتجئ إلى أحد غيره؛ في جلب نفع أو دفع ضر وأن نتعبد ببغض المشركين، وعداوتهم؛ إلا أنه يجب علينا؛ أن ندعوهم أولًا إلى التوحيد، ونبين لهم؛ أنه لا إسلام بدون توحيد، وأن من دعا إلهًا غير الله كفر، فمن أصر بعد ذلك فإنه يجب علينا البعد عنه، وبغضه لله T.
2 - عقيدة السلف تنبني على أن يُوصف الله T بما وصف نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من غير تحريف، ولا تمثيل، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تأويل.
3 - نثبت لله الأسماء الحسنى؛ التي أثبتها لنفسه، ومدح نفسه بها؛ سواء كانت واردة في الكتاب أو السنة.
4 - نؤمن بأنه لا وصول إلى رضا الله، ولا إلى الجنة؛ إلا من طريق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وأمَّا من طلب الوصول إلى رضا الله من غير طريق رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإنه قد ضل، وعمي عن الحق، وخسر دنياه وآخرته.
5 - نؤمن بأن شرع الله تعالى هو ما جاء من طريق الوحيين: كتاب الله، وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ؛ وإلى ذلك أشار ربنا بقوله تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الجاثية:18].
6 - أن نعتقد بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق والسنة هي المبينة له، ويفسر القرآن بالسنة وبتفسير الصحابة والتابعين لهم بإحسان ـ رضي الله عنهم ـ؛ فالتفسير للقرآن يكون بالأثر؛ أي: من طريق الصحابة والتابعين، وبالأحاديث الموصلة إلى ذلك والكتب التي تحوي ذلك؛ هي التي يجب اقتناؤها وقراءتها كـ: «تفسير ابن جرير»، و «تفسير البغوي» و «تفسير الدر المنثور» للسيوطي، وأمثال ذلك.
7 - يجب أن نأخذ السنة على طريقة المحدثين؛ في التصحيح والتضعيف، فنأخذ ما صحَّ، ونترك الضعيف.
8 - ندين لله T بطاعة ولاة الأمر في المعروف، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؛ ما داموا مسلمين؛ يحكِّمون شرع الله، ويقيمون حدود الله وما داموا يقيمون الصلاة، وأن طاعتهم واجبة، وإن جاروا؛ وأن من قال خلاف ذلك، وأجاز الخروج على الإمام المسلم وإن كان جائرًا، فهو مبتدع ضال؛ يجب على علماء المسلمين أن يردوا عليه قوله، ويبينوا ضلاله.
9 - أنه لا يجوز نشر مثالب ولاة الأمور؛ لأن في ذلك إثارة للفتن وتسببًا لوقوعها، وإشاعتها.
10 - يجب أن ندين لله Tبالسنة، ونتبعها، ونمقت البدع والمبتدعين؛ لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»؛ وفي رواية: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». (أخرجه البخاري ومسلم).
هذه خلاصة وكلمات موجزة من عقيدة السلف يجب أن نأخذ بها وأن نسير عليها إن كنا نريد النجاة ونريد الحق.
ويجب علينا أن ننبذ أقوال الرجال التي لا تستند إلى دليل، فالرجال يُعرفون بالحق وليس الحق يُعرف بالرجال.
وأخيرًا: يجب علينا أن نضرع إلى الله أن يرينا الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد خير الخليقة وأتقاها وأبرها، وأزكاها، وعلى آله وصحبه أجمعين.

(1/144)

....

(1/145)

فلما أعلن فيهم إنكار الشرك عادوه وآذوه، وزعموا أنه زنديق خارجي يكفِّر المسلمين بدون موجبٍ للتكفير، وهو إنما كفر من دعا غير الله معتقدًا فيه جلب النفع ودفع الضرِّ ولم يكفر هؤلاء إلا بعد إقامة الحجة عليهم.

(1/146)

.....

فكان أهل العلم في زمانه قسمين:
1 - قسم عادوه وآذوه وأفتوا بكفره، وهم الأكثرون، وهم الذين عبَّر عنهم بقوله: «وبيان من تشبه بهم وليس منهم»، وهؤلاء أخبارهم مفصلة في الكتب التي ذُكرت فيها سيرة الشيخ - رحمه الله -، وكذلك تاريخ الدولة السعودية إبان نشأتها.
وقد صور الشيخ محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني ثم الصنعاني ما جرى للشيخ محمد بن عبد الوهاب بحسب ما وصل إليه من أخبار، وذلك من خلال قصيدته التي بعث بها إليه في الدرعية سنة 1163هـ.
ومما قال في مقدمتها النثرية: لما طارت الأخبار بظهور عالم في نجد يُقال له محمد بن عبد الوهاب، ووصل إلينا بعض تلاميذه، وأخبرونا عن حقائق أحواله وتشميره في التقوى، وفي النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، فاشتاقت النفس إلى مكاتبته بهذه الأبيات، وهذا أنقله من كتاب «أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في الفكر والأدب بجنوب الجزيرة» (ص477) للشيخ عبد الله بن محمد بن حسين أبو داهش؛ قال:

لقد أنكرت كل الطوائف قوله ... بلا صدرٍ في الحق منهم ولا ورد
وما كل قول بالقبول مُقابَل ... ولا كل قولٍ واجب الرد والطرد
سوى ما أتى عن ربنا ورسوله ... فذلك قول جل قدرًا عن الرد
وأما أقاويل الرجال فإنها ... تدور على قدر الأدلة في النقد

وأقول: كل طوائف البدع قد أنكروا قوله لأن دعوته سلفية بحتة تقوم

(1/147)

على الأدلة من كتاب الله، وصحيح سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعلى فهم السلف الصالح، ولذلك

(1/148)

.....

فإن دعوته تهدم الخرافة التي قامت عليها عقيدة الصوفية، وعبادة القبور، وتأبى التعطيل الذي قامت عليه عقيدة الجهمية، وتأبى تأمير العقول على النصوص، فما قبلته منها أُخذ، وما لم تقبله منها رُدَّ؛ وهو الذي قامت عليه عقيدة المعتزلة، وتأبى تأويل نصوص الصفات الذي يؤدي إلى تعطيلها، وهو الذي قامت عليه عقيدة الأشعرية؛ لذلك فقد أنكرت دعوته هذه الفئات كلها مع أتباعهم من العوام، ومعظمهم رموه بالكفر والزندقة.
2 - قسم لم يقبل دعوته - رحمه الله - منهم إلا القليل أو أقل القليل من العلماء، وهم الذين لهم إلمام بالنصوص الشرعية وبسيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - وما كان عليه السلف الصالح في زمن الخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدون؛ ومن هؤلاء الأفذاذ محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني -صاحب «سبل السلام»، و «تطهير الاعتقاد» - الذي أنكر عقائد المبتدعة في ذلك الزمان.
قال الشيخ عبد الله أبو داهش: وقد مضى الأمير الصنعاني في بسط حديثه عن أحوال الناس عند ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -، فأشار إلى البدع الضالة والمعتقدات الباطلة التي كانت منتشرة في ربوع الإسلام عندئذ قال:

أعاد بها معنى سُوَاعَ ومثْلَه ... يَعُوقَ وودٍّ بئسَ ذلكَ من وُدِّ
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها ... كما يهتِفُ المضطرُّ بالصمدِ الفرد
وكم عقروا في سوحها من عقيرةٍ ... أُهلت لغير الله جهرًا على عمد
وكم طائف حول القبور مقبِّل ... ومستلم الأركانَ منهنَّ بالأيدي
لقد سرَّني ما جاءني من طريقه ... وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي

(1/149)

.....

إلى أن قال:

وهذا اغترابُ الدين فاصبر فأنني ... غريبٌ وأعدائي كثيرٌ بلا عدّ

وبالجملة؛ فإن الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - يريد أن يفرِّقَ بين أهل العلم والفقه في الدين، وبين المتسمِّين بالعلم والفقه، وليسوا أهلًا لذلك، فإنهم ينبزون من جاء بالحق بألقاب كاذبة، ويصفونه بأوصافٍ خاطئةٍ فيقولون: مجنون أو زنديق أو غير ذلك، كما قال المشركون للنبي - صلى الله عليه وسلم - في قول الله تعالى: {كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (52) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ} [الذاريات:52 - 53].
قوله: «ثم صار هذا أغرب الأشياء»؛ أي: اتباع الكتاب والسنة، صار هو أغرب الأشياء «فصار العلم والفقه هو البدع والضلالات، وخيار ما عندهم ليس الحق بالباطل»؛ وذلك أنه كان في زمنه من رد عليه وعاداه، وزعموا أنه خارجي، وسموه هو وأصحابه خوارج، وزعموا أنه هو المقصود بقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «رأس الكفر نحو المشرق» (1)، وهذا زعم باطل، وإنما المقصود به الإلحاد والاشتراكية التي دعت إليها الدول الإلحادية كروسيا وأتباعها في الاعتقاد والفكر، وحاربت الشرائع كلها، وعلى رأسها شريعة الإسلام؛ بل حاربت كل مظاهر الدين الإسلامي كالحجاب، واللحية، واعتياد إتيان المساجد، فعليهم لعائن الله، وموجبات غضبه.
والمهم أن علماء ذلك الزمن حملوا الحديث على أنه إشارة إلى دعوة

(1) أخرجه البخاري (3301)، ومسلم (52) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(1/150)

الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -؛ مع أن دعوة الشيخ هي إحياء لدعوة التوحيد؛ التي بُعث بها النبي - صلى الله عليه وسلم - وكل نبي. وبالله التوفيق.

(1/151)

الأَصْلُ الخَامِسُ: بَيَانُ اللهِ سُبحَانَهُ لأَولِيَاءِ (1) اللهِ، وتَفرِيقُهُ بَينَهُم وَبَينَ المُتَشَبِّهِينَ بِهِم مِن أَعدَاءِ اللهِ المُنَافِقِينَ وَالفُجَّارِ، وَيَكفِي فِي هَذَا آيَةٌ مِن سُورَةِ آلِ عِمرَانَ وَهِيَ قَولُهُ: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} [آل عمران:31] الآيَةَ.
وَآيَةٌ فِي سُورَةِ المَائِدَةِ، وَهِيَ قَولُهُ: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [المائدة:54] الآيَةَ.
وَآيَةٌ فِي يُونُسَ، وَهِيَ قَولُهُ: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [يونس:62 - 63].
ثُمَّ صَارَ الأَمرُ عِندَ أَكثَرِ مَن يَدَّعِي العِلمَ، وَأَنَّهُ مِن هُدَاةِ الخَلقِ وَحُفَّاظِ الشَّرعِ إِلَى أَنَّ الأَولِيَاءَ لَابُدَّ فِيهِم مِن تَركِ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ، وَمَن تَبِعَهُم فَلَيسَ مِنهُم.
وَلَابُدَّ مِن تَركِ الجِهَادِ، فَمَن جَاهَدَ فَلَيسَ مِنهُم، وَلَابُدَّ مِن تَركِ الإِيمَانِ وَالتَّقوَى، فَمَن تَعَهَّدَ بِالإِيمَانِ وَالتَّقوَى فَلَيسَ مِنهُم، يَا رَبَّنَا نَسأَلُكَ العَفوَ وَالعَافِيَةَ؛ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ [1].

(1) قال شيخنا النجمي -حفظه الله-: «الولي هو من والى الله T، فامتثل أوامره واجتنب نواهيه، وصدق خبره، ووالى من والاه الله وعادى من عاداه الله امتثالًا لقوله تعالى: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [المجادلة:22]».

[1] هذا الأصل ركز فيه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - على

.....

الصوفية (1) الذين يزعمون أن الأولياء هم الذين يظهرون بالأحوال، والكرامات، وتبدو منهم الشطحات، فزعموا أن الشيخ هو من تقرب بالقرب من الله إلى أن يصل إلى درجة تسقط عنه فيها التكاليف، فيشرب الخمر فتنقلب في فمه لبنًا؛ وإذا زنى بامرأة: قالوا إنما أفاض عليها من نوره.
ومن أراد أن يعرف ما عليه الصوفية من الشطح، والكفر، والادِّعاءات العريضة لحقوق الله T غيرَ مبالين ولا مكترثين، فليرجع إلى كتاب «الكشف عن الصوفية لأول مرة»، وكتاب «هذه هي الصوفية» لعبد الرحمن الوكيل.
بل إنهم يجعلون ذلك فخرًا لهم، وإنهم قد بلغوا إلى مرتبة لم يبلُغها غيرهم، وإن الشيخ هو الذي يرى الله عيانًا! ويتحدث معه! ويلقى النبي - صلى الله عليه وسلم - وما أشبه

(1) الصوفية في اللغة: مأخوذة من مادة (صوف)، وقد جاءت على عدة معانٍ؛ فتطلق ويراد بها الصوف المعروف من شعر الحيوانات؛ وتطلق كلمة (صوف) على الميل فيقال: صاف السهم عن الهدف بمعنى: مال عنه، وصاف عن الشر؛ أي: عدل عنه إلى غير ذلك من معاني الصوفية في اللغة، والتي تبحث في مظانها.
وأما تعريفها اصطلاحًا: فلها عدة تعريفات اختلفت باختلاف مراحلها التي مرت بها، ولكن من أبرز تعريفاتها:
1 - التصوف هو تجريد العمل لله تعالى، والزهد في الدنيا، وترك دواعي الشهرة، والميل إلى التواضع والخمول وإماتة الشهوات في النفس، وهذا يصدق على التصوف في عهده الأول.
2 - قيل إن سبب التسمية للمتصوفة بهذا الاسم: إنما كان نسبة إلى لبسهم الصوف الذي يعبر عن الزهد والتقشف، وترك التنعم والملذات المباحة إلى غير ذلك ... من التعريفات التي ذكرها صاحب كتاب «فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام» (ص578 وما بعدها) بتصرف.

ذلك

.....

من الادِّعاءات التي لعب بهم الشيطان فيها، فأضلهم عن الطريق المستقيم، فأخرجهم إلى طريقة أصحاب الجحيم فهم يزعمون أن هؤلاء هم أولياء الله ليس غيرهم؛ أما من اتبع الكتاب والسنة وعُني بالحديث والآثار، وتكلم في الفقه، وأمر بالاستقامة على شرع الله فهؤلاء يُسَمَّون أهل الظاهر.
وشيوخ الصوفية عندهم أهل البطن، بل إنهم حقيقة هم أهل الباطل -بدل النون: لام-؛ فشيخ الإسلام - رحمه الله - يشكو من أهل زمانه؛ لأنهم يجعلون أولياء الله مَنْ هم أعداء لله، وحاربوه أشد المحاربة، ولكن هل القولُ قولهم، والاعتقاد اعتقادهم؟ لا، ولكن حقيقة الولي هو من يعظم كتاب الله، ويعظم سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويتبع الرسول - صلى الله عليه وسلم - في كل قول وفعل، وفي كل أمر واعتقاد؛ قال الله تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [آل عمران:31].
وقال تعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [يونس:62 - 63].
أي: الذين آمنوا بالله، وكانوا يتقون الله ويفعلون أوامره ويجتنبون نواهيه ويؤمنون بالله، ويؤمنون بوعده ووعيده، وبعثه ولقائه وجنته وناره ويجاهدون في سبيل ذلك بألسنتهم، وأقلامهم، وسيوفهم؛ هؤلاء هم الأولياء.
ولقد أوضح الفروق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في كتابه المسمى بـ: «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»؛ ألا إن أولياء الله هم أهل الحديث، ومتَّبعو الآثار، المدونون لها، والعاكفون على حفظها وتدوينها والعمل بها والدعوة إليها! هؤلاء هم أولياء

الله! فإياك أن تُخدع، وأن يجتاحك الكذَّابون أصحاب الادعاءات الكاذبة. وبالله التوفيق.

الأَصلُ السَّادِسُ: رَدُّ الشُّبهَةِ (1) الَّتِي وَضَعَهَا الشَّيطَانُ فِي تَركِ القُرآنِ وَالسُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ الآرَاءِ وَالأَهوَاءِ المُتَفَرِّقَةِ المُختَلِفَةِ، وَهِيَ أَنَّ القُرآنَ وَالسُّنَّةَ

(1) الشبهة كما ذكرها الجرجاني في كتاب «التعريفات» (ص165): «إنها في الأصل هي: ما لم يتيقن كونه حرامًا أو حلالًا». اهـ
وتطلق هنا ويراد بها جعل الباطل في صورة الحق، وهذه حجة كل مبطل من شياطين الإنس والجن إذ إن من الذنوب ما هي شهوات، ومنها ما هي شبهات؛ فالشهوات أعني بها فعل الأشياء المحرمة المعلومة من الدين بالضرورة كتحريم شرب الخمر، وفعل الزنا واللواط أو التهاون بالصلاة أو بغير ذلك من المعصي، وهي التي قال الله فيها: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (59) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا} [مريم:59 - 60].
وأما الشبهات فهي التي يوردها أعداء الدين على بعض المسلمين لتزيين باطلهم من بدع، وكفريات أو بغير ذلك من المعاصي التي دون ذلك، وإلقاء المتشابه من القول على بعض المسلمين ليقعوا فيما دعوا إليه من الضلال.
دل على ما قلناه من الحذر من الشبهات التي يلقيها أعداء الإسلام على بعض المسلمين ما ورد في «مسند الإمام أحمد»، وأبي داود -واللفظ له- بإسناد صحيح صححه الألباني - رحمه الله - في «المشكاة» (رقم 5488) من حديث عمران بن حصين يحدث، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من سمع بالدجال فلينأ عنه؛ فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما يبعث به من الشبهات أو لِمَا يبعث به من الشبهات».
ومن تلك الشبهات ما أورده أعداء التوحيد في هذا الأصل من الدعوة إلى ترك العمل بكتاب الله وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بحجة أن القرآن والسنة لا يعرفهما ولا يفهمهما إلا المجتهد المطلق، كما سيبين بطلان مقالتهم هذه شيخُنا أحمد بن يحيى النجمي -حفظه الله ورعاه-، والله أعلم.

لَا يَعرِفُهُمَا إِلَّا المُجتَهِدُ (1) المُطلَقُ، وَالمُجتَهِدُ هُوَ المَوصُوفُ بِكَذَا وَكَذَا أَوصَافًا لَعَلَّهَا لَا تُوجَدُ تَامَّةً فِي أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ، فَإِن لَم يَكُن الإِنسَانُ كَذَلِكَ فَلْيَعرِض عَنهُمَا فَرضًا حَتمًا لَا شَكَّ وَلَا إِشكَالَ فِيهِ، وَمَن طَلَبَ الهُدَى مِنهُمَا فَهُوَ: إِمَّا زِندِيقٌ، وَإِمَّا مَجنُونٌ؛ لأَجلِ صُعُوبَةِ فَهمِهِمَا.
فَسُبحَانَ اللهِ وَبِحَمدِهِ! كَم بَيَّنَ اللهُ سُبحَانَهُ شَرعًا وَقَدَرًا، خَلقًا وَأَمرًا فِي رَدِّ هَذِهِ الشُّبهَةِ المَلعُونَةِ مِن وُجُوهٍ شَتَّى بَلَغَت إِلَى حَدِّ الضَّرُورِيَّاتِ العَامَّةِ، وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لَا يَعلَمُونَ: {لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (7) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (8) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (9) وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (10) إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ} (2) [يس:7 - 11].

(1) قد بين فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - في «شرحه على هذه الأصول الستة» (ص181) طبعة دار الثريا، تعريف الاجتهاد، فقال: «الاجتهاد في اللغة: بذل الجهد لإدراك أمر شاق.
واصطلاحًا: بذل الجهد لإدراك حكم شرعي»؛ ثم سأذكر لك -أخي القارئ الكريم- تعريف المجتهد المطلق أو بمعنى آخر: هو المفتي، فقد قال في ذلك الشيخ عبيد بن عبد الله الجابري في كتاب «تنبيه ذوي العقول السليمة» (ص75): «المجتهد المطلق هو العالم الذي يستفرغ وسعه بالنظر في الأدلة حتى يحصل له الظن الغالب أو القطع بحكم شرعي، وهو الذي يبحث عن الحق بدليله». اهـ
(2) القول في الآية: العذاب؛ وأكثرهم؛ أي: كفار العرب الذين ماتوا على الكفر.
الأغلال: القيود التي تشد بها أيديهم إلى أعناقهم.
مقمحون: رافعو رءوسهم، غاضو أبصارهم يوم القيامة وهم في النار.

آخِرُهُ، وَالحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.
وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّمَ تَسلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَومِ الدِّينِ [1].

---

[1] قوله - رحمه الله -: «الأصل السادس: رَدُّ الشُّبْهَةِ الَّتِي وَضَعَهَا الشَّيْطَانُ فِي تَرْكِ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ الآرَاءِ وَالأَهْوَاءِ المُتَفَرِّقَةِ المُخْتَلِفَةِ، وَهِيَ أَنَّ القُرآنَ وَالسُّنَّةَ لَا يَعْرِفُهُمَا إِلَّا المُجْتَهِدُ المُطْلَقُ، وَهُوَ المَوصُوفُ بِكَذَا أَوْصَافًا لَعَلَّهَا لَا تُوجَدُ تَامَّةً فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَإِنْ لَم يَكُنْ الإِنْسَانُ كَذَلِكَ فَلْيُعْرِضْ عَنْهُمَا فَرْضًا حَتْمًا لَا شَكَّ وَلَا إِشْكَالَ فِيهِ، وَمَن طَلَبَ الهُدَى مِنْهُمَا فَهُوَ: إِمَّا زِنْدِيقٌ، وَإِمَّا مَجْنُونٌ؛ لأَجْلِ صُعُوبَةِ فَهْمِهِمَا».
أقول: إن هذه الشبهة شبهة شيطانية توصل بها الشيطان إلى تعطيل الكتاب والسنة وصرف الفهم عنها صرفًا كلِّيًا، وإن هذا لصدٌّ عن سبيل الله وتكذيب لكتاب الله حيث يقول تعالى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} [القمر:22].
فالله تعالى يقول -إخبارًا عن نفسه- بأنه يسر القرآن للذكر، وأكد ذلك الخبر باللام الموطئة للقسم؛ وهؤلاء يقولون أن فهم القرآن والسنة مستحيل، وغير ممكن إلا للمجتهد المطلق الذي يشترطون فيه:
1 - أن يكون قد حفظ على الأقل مائة ألف حديث عن ظهر قلب.
2 - حفظ القرآن، وما قيل فيه من التفاسير.

3 - حفظ الأقوال الفقهية بأدلتها إلى غير ذلك، وما هذه إلا مناقضة لما أخبر الله به عما جعله في كتابه من اليُسر للقارئين، والمتفقهين، والمتعلمين.
وقال -جل من قائل-: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل:44].

.....

فأخبر الله تعالى أنه أنزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القرآن ليبينه الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأقواله، وأفعاله، وتشريعاته التي هي ترجمة للقرآن؛ فهل أمَرَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمستحيل؟
حاشى وكلا!! وإنما أمره ممكن، وقد قال الله تعالى: {هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران:138].
فكيف يكون بيانًا وهو مستحيل الفهم؟! ما هذه إلا فرية شيطانية أراد بها الشيطان صرف العقول عن التفكر في كتاب الله وفي سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.
وقال الله تعالى: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا} [الإسراء:41].
فقوله تعالى: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ}؛ أي: نوَّعناه، وبيناه؛ فمنه الأحكام، ومنه الأوامر، ومنه النواهي، ومنه القصص لأمور قد مضت، ومنه الإخبار بالغيبيات التي ستأتي، ومنه المواعظ، ووصف الجنة والنار، وأوصاف المؤمنين، والكافرين، والمنافقين، وما أعده الله لهؤلاء وهؤلاء؛ كل ذلك قد ورد في القرآن بالإضافة إلى ما أخبر الله به عن نفسه من أسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وعمَّا له من الكمالات التي لا تبلغ العقول وصفها -جل شأنه وتعالت صفاته، وتقدست أسماؤه-.
فهل القرآن لم ينزل إلا ليتلى في المآتم فقط غير متخذينه شرعًا، ولا آخذين منه الهداية والأحكام؟
إن هذا لهو الضلال البعيد! وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «رحم الله امرأً سمع

مقالتي فوعاها وأدَّاها لمن لم يسمعها، فرُبَّ مبلغ أوعى له من سامع».
وفي رواية: «نضَّر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وأداها إلى من لم يسمعها،

.....

فرُبَّ حامل فقه غير فقيهٍ، وربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه» (1).
وقال - صلى الله عليه وسلم -: «ألا ليُبَلِّغ الشاهدُ الغائبَ فرُبَّ مُبلَّغٍ أوعى من سامعٍ» (2).
وقال - صلى الله عليه وسلم -: «بلِّغوا عني ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمدًا، فليتبوَّأ مقعده من النار» (3).
فهل أمر الله ورسوله بحفظ القرآن والسنة، وتبليغهما يُعدُّ عَبَثًا؟ إذا قلنا إنه لا يمكن للإنسان المتعلم أو العالم أن يفهم معاني كتاب الله، ومعاني سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، هل أمر الله عباده بالمستحيل حين قال: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} [التوبة:122]؟!!
لقد بلغ الشيطان أمنيته بهذه الشبهة حين صرف بها الناس عن كتاب الله، وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، بل إنه لم يُصِبِ الشيطان من أهل العلم بمثل هذه الشبهة؛ حين صرفهم عن شرع الله تعلُّمًا وتعليمًا واجتهادًا واستنباطًا، بل وجعل ذلك -أي: البحث عن معاني كتاب الله ومعاني سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والاجتهاد في الاستنباط منهما- جعل ذلك ضربًا من الجنون ونوعًا من الزندقة.
بل قال لأولئك القوم الذين قالوا هذه المقالة: إنه لابد لكل واحد منهم أن يقلد إمامًا من الأئمة الأربعة لا يخرج عن أقواله وآرائه واجتهاداته؛ ولا يجوز له إذا قلَّد ذلك الإمام أن يحيد عن رأيه -ولو قدرَ أُنْمُلَةٍ-؛ بل إنه يجب

---

(1) تقدم تخريجه.
(2) أخرجه البخاري (1741)، ومسلم (1679) من حديث أبي بكرة - رضي الله عنه -.
(3) أخرجه البخاري (3461) من حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما -.

عليه ألا يقلِّدَ

.....

أحدًا غيره، وإذا وجد الدليل خلاف قول إمامه، فليؤول الدليل حتى يتناسب مع قول إمامه لأنه زعم لإمامه الحصانة عن الخطأ؛ وإنه لا يتصور منه وقوع الخطأ.
بل كادوا أن يصرحوا بعصمة أئمتهم، وكلٌّ منهم يعتقد في إمامه العصمة، وأن قوله هو الحق وإن خالف الدليل، وإذا رأيته يخالف الدليل، فاتهم عقلك! واتهم رأيك! واجعل قول الإمام في حصانة عن الخطأ والبطلان ...
يا لها من كارثة!! أنَّت بأصحاب هذه المذاهب أن يختلفوا اختلافًا أدَّى إلى الفرقة والتباغض والتعادي والتناحر؛ بل كل أهل مذهب يضللون الآخرين في أقوالهم أو بعض أقوالهم مع أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يَلُمْ أحدًا على الاجتهادات التي تكون من الناس المؤهَّلين في اللغة والقواعد حين قال: «لا يصلينَّ أحدٌ العصر إلا في بني قريظة» (1).
فاجتهد قوم وصلَّوا قبل وصولهم، وقالوا: إنما أراد الحثَّ والتعجيل بالسير، فإذا كنا قد بلغنا جُهدنا ودخل وقت العصر قبل أن نصل إلى بني قريظة، فنحن نصلي الصلاة لوقتها ونحمل قوله - صلى الله عليه وسلم - هذا على أنه إنما أراد الإسراع في الذهاب؛ والتزم قوم باللفظ فأخروا صلاة العصر حتى وصلوا إلى بني قريظة، وقد فات وقت العصر، فأُخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - بذلك ولم يعنِّف أحدًا منهم، ولا قال لأحدٍ منهم: أنت أخطأت!

---

(1) أخرجه البخاري (946)، ومسلم (1770) من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -.

يا سبحان الله! لماذا خلق الله لنا العقول؟!! أليس خلقها لنا لنفكر بها، ونتفكر في آياته القرآنية ونتفكر في آياته الكونية؟

.....

هذا هو الغرض الذي خلق الله لنا العقول من أجله؛ بل ذمَّ الله الناس الذين لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذانٌ لا يسمعون بها، فقال: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} [الأعراف:179].
وقال -جل وعلا-: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (22) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (23) أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد:22 - 24].
وأخيرًا: فإن القرآن مليء بالرد على هذه الشبهة، والسنة مليئة بالرد عليها، ولكن ماذا نقول إذا كان أهل العلم الذين يُظن بأنهم سيردون على هذه الشبهة، ويُبطلونها بالأدلة الصحيحة الصريحة من كتاب الله، ومن سنة رسول الله هم الذين قرَّروها! وانبروا لمحاربة من ردها، واتهامه بالزندقة! وإنا لله وإنا إليه راجعون.

•))) •